مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at http://www.asjp.cerist.dz

صورة المرأة في المثل الشعبي الجزائري قراءة سوسيولوجية لمجموعة من الأمثال

سميحة يونس علم الإجتماع– تنمية الموارد البشرية جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج. الجزائر.

الملخص:

يتمسك الشعب الجزائري بالعادات والتقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، إذ توجد في كافة مجالات حياته اليومية، ولعل من أبرزها الأمثال الشعبية، والتي تشكلت صورتها من الوقائع والأحداث والظواهر الحياتية التي وقعت في زمن ما، والتي تحمل في طياتها الكثير من العبر والفوائد المتصلة بحياة الإنسان وحضارته وأفكاره وقيمه.

وتبحث هذه المقالة في مجموعة من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تتكلم عن المرأة أو تتناول موضوعا من الموضوعات التي تتعلق بها، سواء بصورة صريحة مباشرة، أو من خلال التلميح وبطرق غير مباشرة، من خلال الدراسة والنقد والتحليل لإبراز صورة المرأة الجزائرية في مجتمعها من خلال مرآة الأمثال الشعبية.

الكلمات المفتاحية: المثل، المرأة، التراث، صورة.

Résumé :

Le peuple Algérien comme les autres peuples du monde en respecte les coutumes et les traditions léguées par les parents et grands-parents, ainsi que les traditions de la société algérienne, la sagesse populaire, qui est construite à parti des faits et des événements de l'époque, et qui porte en elle de nombreuses leçons et les avantages liés à la vie de l'homme et de la culture et des idées et des valeurs.

Par cet article, nous avons étudié quelques proverbes populaires algériens qui traitent de la présence de la femme algérienne, avec une critique sociologique et en analysant l'image de la femme dans la société algérienne a travers le prisme des proverbes ancrés dans les traditions et les coutumes algériens.

Mots clés : les proverbes, la femme, le patrimoine, l'image.

The image of women in the Algerian popular proverbs "a sociological reading of a group of proverbs"

Abstract:

The Algerian people adhere to customs and traditions inherited from parents and grandparents, It exists in all areas of daily life, The most prominent of these are the popular proverbs, whose form is shaped by facts, events and life events that took place at a time, and which carry many lessons and benefits related to human life, culture, ideas and values.

This article examines a collection of Algerian proverbs that speak about women or deal with one of the topics they relate to, either directly or indirectly, through study, criticism and analysis to highlight the image of Algerian women in their society through the mirror of proverbs Popular.

Keywords: picture, proverb, women, patrimony

مقدمة:

تتكون ثقافة أي مجتمع من مجتمعات العالم من مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف...وغيرها، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الإنسان وبتجاربه، والأحداث التي عايشها، لترسم صورة لذلك المجتمع أو ذاك.

ولا تكاد تخلو ثقافة أي مجتمع من الأمثال التي يستخدمها الإنسان في معاملاته اليومية، والتي تصور أخلاقه وعاداته وأفكاره للمجتمعات الأخرى، فالأمثال استخدمها الناس منذ القدم كوسيلة قوية لتقريب المراد فهمه وتوصيله إلى الأذهان، وقد ضرب الله الأمثال في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، كقوله: " **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعملون"(سورة العنكبوت، الآية: 41)** وقوله تعالى:" **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين"(سورة الزخرف، الآية:56)**.

من هذا المنطلق، أردنا من خلال هذه المقالة التعرف على صورة المرأة من خلال الأمثال الشعبية المتداولة داخل المجتمع الجزائري.

كيف يصور خطاب الأمثال الشعبية المرأة الجزائرية؟

1/ مفهوم المثل والمثل الشعبي:

أ/ لغة: يعرفه ابن منظور في قاموس لسان العرب على أنه: لفظ المثل في اللغة العربية مشتق من مادة مثل، ويطلق على شيء مثلا، فيجعل مثله، وفي الصحاح ما يضرب به من الأمثال يقول الجوهري ومثل الشيء أيضا صفته.

والمثل والمثيل كالمثل، والجمع أمثال، وهما يتماثلان، وقولهم: فلان مسترد لمثله (**ابن منظور، أبو الفضل جمال، دس،ص:14**).

يقول الماوردي في كتابه: "الأمثال والحكم": كفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل، لأن الأمثال لها من الكلام موقع الإسماع والتأثير في القلوب، فلا يكاد المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه لأنها في العقول معقولة وفي القلوب مقبولة (**الماوردي،علي بن محمد بن حبيب،1999،ص:20**).

يعرّف المثل على أنّه: عبارة عن حكم جمعت في تعابير تمتاز بالإيجاز والبلاغة، ومن بلاغها وحسن صوغها يسهل على الإنسان حفظها وتذكرها، وتتعلق بالذهن بمجرد سماعها، لأنها تدل على حقيقة من حقائق الحياة الثابتة التي لا تتغير، فهي صالحة لكل زمان ومكان(**مرزوقي، محمد،1967،ص:35**).

ويقرر **أبو هلال العسكري** صاحب كتاب: **"جمهرة الأمثال"** أن كل حكمة سائرة تسمى مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا(**العسكري، أبو هلال،1988،ص:366**).

يقول عبد المالك مرتاض أن الأمثال تعبر عن طبيعة حياة الأمة وتصور مجتمعاتها وترسم عوائدها، وتسرد أخبارها وتحفظ آثارها وتقدم الدليل القريب للباحث على مستوى تفكيرها ومدى ثقافتها ومبلغ حضارتها، فالأمثال مرآة للأخلاق العامة (**مرتاض، عبد المالك، 1981، ص:111**).

هذا ولا يختلف مفهوم المثل الشعبي عن مفهوم المثل، حيث يعرّف على أنّه: الجمل القصيرة والعبارات المختصرة التي تشبه القصة القصيرة، وتتحدث عن تجربة معينة مر بها أشخاص في زمن معين، يتناولها الناس عندما يعيد الزمن نفسه على شكل مختلف من الناس، بينما الوقائع التي قيلت فيها هذه الأمثال نعيشها في أي حقبة من الزمن.

وتعبر الأمثال الشعبية عن إحدى الخصوصيات الثقافية التي يتسم بها شعب من الشعوب، وقد ينفرد شعب ما بترديد مجموعة منها، وقد يشترك فيها مع غيره من الشعوب مع وجود اختلافات بسيطة كل حسب أسلوبه ولهجته، وتكون الأمثال الشعبية بلغة عامية بسيطة تقريبا للمعنى.

2/ خصائص المثل الشعبي:

من خلال استعراض مفهوم المثل والمثل الشعبي ، يمكن تحديد وإبراز معالم وخصائص الأمثال، والتي تميزها عن غيرها من الأشكال الأدبية الأخرى، في التالي:

يكون المثل قصير العبارة، قليل عدد الألفاظ، كأن يتركب من جملة واحدة أو جملتين على الأكثر، لأن الإطالة تعسر على العامة حفظه وتداوله بسهولة وسرعة.

يكون المثل سهل اللغة، بسيط الدلالة، حيث أن طبيعة هذا النوع من الأدب غالبا ما يستعمل في مواقف معينة، كاستشهادات تفرض أن يكون المثل واضحا وسهلا وبسيطا شكلا ومضمونا.

يكون خاليا من الأسلوب الوعظي المباشر، حيث يجب أن يكتفي فيه بالتلميح لا بالتصريح حتى يكون أكثر وقعا على النفس، باعتبار أن أبرز العوامل التي تعوق المثل في إنطلاقته الروح الوعظية.

يأتي المثل متوفرا على قسط ولو بسيط من النسق الموسيقي السجعي، فغالبا ما يرتدي المثل إلى جانب عفويته وبساطة تعبيره موسيقى خفيفة تتمثل في السجع الذي يساعد على شيوعه وانتشاره وتداوله وحفظه، بغية التمثل به في المواقف التي تتكرر في حياة الناس، فيكون انتشاره بين الأفراد انتشار الهواء.

غالبا ما يأتي المثل في صورة جمالية تعتمد الذوق أساسا وأسلوبا، فلا يكون هناك مجال لتوظيف ألفاظ يمكن الاستغناء عنها. يضاف إلى ذلك وجوب خلق علاقات دلالية جديدة تجمع الكلمة وأختها، ولعل هذا ما جعل المثل الشعبي يحتل مكانة متقدمة ضمن الأشكال الأدبية الأخرى.

3/ قيمة الأمثال الشعبية كموضوع للبحث في المجال السوسيولوجي:

لا يعتبر المثل الشعبي لون من ألوان الفنون الشعبية والأدبية فحسب، ولكن له تأثير على سلوكيات الأفراد داخل مجتمع معين، فأحيانا يكون تأثيره إيجابيا، وأحيانا يكون سلبيا يضر بالفرد والمجتمع الذي يعيش فيه على السواء.

فالأمثال الشعبية تساهم بشكل غير مباشر في تشكيل أنماط واتجاهات المجتمع، مما يجعلها محور اهتمام عدد كبير من العلماء والباحثين، فهي تحمل ملامح شعب كامل كأسلوب معيشته أو معاييره الأخلاقية ومعتقداته الدينية، ولا نغفل أنها تغلغلت في جميع مجالات الحياة كالطب والزراعة والتجارة والصناعة، بل ارتبطت أيضا بالتقويم والمواسم والمناخ، إنها المرآة التي تنعكس عليها العادات والتقاليد ونمط الحياة، وهي التي تؤطر العلاقات بين الناس وتحكمها بنظم لا ينبغي الخروج عليها، كما أنها تساهم في تشكيل أنماط واتجاهات وقيم المجتمع.

إن المثل الشعبي بالإضافة إلى كونه عنصرا من عناصر الثقافة الشعبية، يحمل تصورا معينا للعالم وإن كان هناك من ينكر إمكانية بلوغ الفئات الشعبية هذا المستوى، فالأمثال تقال لتصبح نماذج من السلوك والتفكير، يكتسبها الفرد اجتماعيا وتنقل اجتماعيا، إنها تمثل فلسفة الجماهير، تنبعث من الشعب وضرورات حياته(**بروقي، وسيلة،2009/2008،ص:88**).

وهكذا يتبين لنا من خلال ما تقدم أن الأمثال الشعبية ليست مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية، وإنما هي صراع مع الحدث، يدفع بالفرد أو الجماعة إلى صياغة المثل، لذلك نلاحظ سرعة تأثيره في المجتمع وانسياب هذا التأثير إلى أعمق أعماق الأوساط الشعبية بمختلف تركيباتها(**نفس المرجع، ص:95**).

وتبدو أهمية الأمثال والحكم في أنها وسيلة تربوية، لأن فيها التذكير والوعظ، والحث والزجر وتصوير المعاني، ولذا قيل: المثل أعون شيء على البيان. والمضمون الإنساني للأمثال والحكم يتصل بالطبائع البشرية، من الخير والشر، والسعادة والشقاء، والفضيلة والرذيلة، وهي أمور تعرفها شعوب الأرض جميعا في كل وقت، وقد حث علماء التربية طلبة العلم على حفظ الأمثال والحكم لأنها الأنغام اللغوية الصغيرة للشعوب، ينعكس فيها الشعور والتفكير، وعادات الأفراد وتقاليدهم على العموم (**الماوردي، علي بن محمد بن حبيب ،مرجع سابق،ص–ص:20–21**).

4/ وظائف المثل:

تعتبر الأمثال الشعبية مرآة عاكسة للأخلاق الفردية والجماعية، والعادات والتقاليد والمعتقدات، وهو بذلك يحقق وظائف متعددة، من بينها:

– **الوظيفة الاتصالية:** فهو كغيره من فنون التعبير الأدبي هدفه الاتصال بين الأفراد والمجتمعات، وهذا التواصل يكون بنقل تجارب السابقين، فيعتبر بذلك مصدرا من مصادر المعرفة والثقافة، وحافظا لتجارب الشعوب من الزوال والإندثار.

– **الوظيفة الأخلاقية:** تعتبر الأمثال بمثابة الضابط الاجتماعي والرقيب الذي يوجه سلوك الفرد وفق ما تمليه القيم الأخلاقية للجماعة، سواء مع نفسه أو مع أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه.

– الوظيفة التربوية – التعليمية: وهي تحمل نفس معنى الوظيفة الأخلاقية تقريبا، لأنها تسعى إلى تهذيب النفس وتقويم الخلق وتعليم الفرد طرق وسبل العيش في ظل التجربة التي يتضمنها المثل، فالأمثال تعد مدرسة يتعلم من خلالها الفرد السلوك الصحيح والاتجاه السليم الذي يسلكه في حياته، فيكتسب تنشئة اجتماعية سليمة. فإذا كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات الإنسانية فإن الأمثال بدورها قد اتخذت مصدرا لتشريع العادات الشعبية وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية.

– **الوظيفة الفنية:** يعتبر المثل فن أدبي له مكانته الخاصة بين فنون الأدب الشعبي، يتميز بخصائص فنية أهلته للانتشار والشيوع بين أفراد المجتمع.

– **الوظيفة الترفيهية:** فبعض الأمثال تحمل الناس على الضحك والإنشراح، كونها صيغت في قالب جمالي فكاهي، لكنها تحمل بعدا أخلاقيا في نفس الوقت.

5/ صورة المرأة في خطاب المثل الشعبي الجزائري:

إنّ المتأمل في الثقافة الشعبية الجزائرية وبالتحديد الأمثال الشعبية يلاحظ ذلك الكم الكبير من الأمثال التي تتحدث عن المرأة، سواء كانت بصورة إيجابية أو عكس ذلك، تتعلق بمواضيع عديدة ومتنوعة، كالعلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، الجمال، الحب، الزواج، الإنجاب، العقم، الشر...

وما يثير الإنتباه في خطاب الأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة تلك الإزدواجية والتعارض والتناقض– في أحيان كثيرة– في القيم والأفكار المتضمنة في الأمثال، فالبعض منها يرى في المرأة مخلوق ضعيف لا حول لها ولا قوة، والبعض منها يرى أنها المكر بذاته ويحذر منها وغيرها الكثير مما سنستعرضه لاحقا.

1.5/ في الخطبة والزواج:

لم يكد الشاب أو الرجل يعلن عن رغبته في الزواج لأهله وأصدقائه حتى تنهال عليه النصائح والتوجيهات دونما إنقطاع، وكأن هؤلاء يخافون على هذا الشاب أن يتصل لأول مرة بالمرأة، ذلك الكائن الذي طالما وجدهم ينظرون إليه باحتقار وسخرية، ولعل هذا هو السبب الذي يجعل الناظر في التراث الشعبي يجد العشرات من الأمثال وغيرها التي تحط من مكانة المرأة وتنقص من شأنها، وهي كلها عبارة عن تحذيرات للرجل الذي يهم بالزواج، وذلك حتى يكون على بينة واستعداد تام لكل مفاجآت المرأة، والتي غالبا ما صورها المثل الشعبي سيئة وخطيرة، ولعل القارئ للأمثال الشعبية الجزائرية – والتي سنذكرها لاحقا- سيلاحظ ما ذهبنا إليه بدقة:

1- " اخطيك من الشرديد وماكلة القديد" إن المتأمل في خطاب الأمثال الشعبية الجزائرية عموما يجده في جوهره خطاب ذكوري بامتياز، حتى وهو يتحدث عن المرأة أو بلسانها، خطاب موجه من الرجل إلى الرجل، صاحب التجربة الطويلة في الحياة إلى المبتدئ فيها يقدم له جملة من القواعد التي يجب اتباعها (**بروقي، وسيلة، شتاء 2008**)، فهذا المثل يصور لنا أولى تحذيرات المثل الشعبي لمن همّ بالزواج، فهو يوصيه بتجنب البظر المسن، أي عليه باللحم الطري كلحم الخروف وجسد الشابة البض(**بوتارن، قادة،ب.س،ص:143**).

ففي هذه الصياغة إهانة للمرأة وإنقاص لشأنها، الأمر الذي يترتب عليه تخوف الشاب مما يؤدي إلى شعوره بثقل المسؤولية عند الاختيار، ولعل هذا بسبب النمط الاجتماعي العام الذي فرض على الشاب هذا النوع من الارتباط بالمرأة، فكأنه اعتراف ضمني بضرورة المرأة في المجتمع، ولكن الذهنية الشعبية عموما لا تريد التسليم به، فكان من ذلك أن صور هذا الإقتران على أنه منة يمنها الرجل على المرأة، وهي في الحقيقة أقل من أن تعطى لها هذه الأهمية، وهذا ما دعأ المثل الشعبي إلى أن يضع هذه النصيحة في قالب لغوي يهين المرأة نوعا ما.

2- " صام عام وفطر على جرادة " يصور هذا المثل بصدق صورة المرأة في المجتمع ونظرة الرجل إليها، سواء الشاب أو الكهل أو الشيخ، وهي في الحقيقة صورة بعيدة عن كل تزويق وتنميق، صورة خالية من المقدمات وهي مليئة كما لاحظنا بعناصر التهكم. ففي هذا المثل نرى بوضوح مدى مقدار النظرة الدونية لقيمة المرأة، والانتقاص من شأنها وحقها، حيث شبهت المرأة بهذه الحشرة (الجرادة)، وفي نص آخر نجد: " **صام عام وفطر على بصلة** "، وفي كلتا الحالتين انتقاص من قيمة المرأة، فلا يستطيع أحد أن ينكر ما في هذا التشبيه من إهانة وسخرية منها، ولعل الغرض العام من هذا المثل هو معاتبة البعض من الرجال الذين امتنعوا طويلا عن الزواج، ولما هموا بذلك اختاروا من النساء المرأة القبيحة خلقا وخُلقا.

3- "تبدال السروج راحة" وفي صياغة أخرى: **"بدل لمراح تستراح"** وهناك مثل أيضا يحمل نفس المعنى **"بط النساء بالنساء ماشي بالعصا"** ، في هذا المثل تصريح بحقيقتين لا ترضيان المرأة، أولاهما: أن تعدد الزوجات أو بالأحرى تبديل الزوجات يعتبر حق للرجل ولا يستطيع أحد أن ينازعه فيه، باعتبار أن ذلك مجلبة لراحته، لسروره وسعادته على الرغم من أن هذا الصنيع مدعاة لغضب المرأة وسخطها، أما ثانيتهما: أن الحكيم الشعبي قد شبه المرأة بالسرج، ولا يخفى على أحد أن السرج ما هو إلا مطية للرجل حين يركب الفرس، وذلك ليقيه السقوط من على ظهرها أو لأغراض أخرى، ولعل هذا يحمل دلالات خفية تتمثل في كون المرأة تشبه السرج لا يستعملها الرجل إلا للضرورة، وهنا تظهر نظرة الرجل للمرأة، نظرة سخرية مليئة بعناصر التهكم من هذا الكائن، إذ يقرر فيه أن السبب الأول والأخير في راحة الإنسان وطمأنينته، والعامل الذي يجلب له ولنفسه السعادة والهناء هو تكرار الزواج أو تعدد الزوجات، ولا يستغرب من هذا التفكير على مستوى الذهنية الشعبية، التي ترى أن المرأة أنقص عقلا وأقل إدراكا من أن تفهم حقيقة الرجل أو تعدد زوجاته، فهو إذا عرف عنه أنه مزواج مطلاق مبدال، فهو لا يرى في المرأة إلا سرجا لا يكلفه الكثير.

والمثل يحمل في طياتها حقيقة لا تخفى على أحد، على الرغم من أن العقل الجمعي الشعبي لا يقررها صراحة، وهي أهمية المرأة ودورها في المجتمع، ففيها راحة الفرد والمجتمع، ولا يخفى على أحد أن مجتمعنا ذكوري لا يصرح بحقيقة قد تعترف للجنس الآخر بالفضل والأهمية على حسابه.

وعليه، فإن المضمون العام لهذا المثل يجعلنا نتصور أن: تبدال السروج(الزوجات) فيه راحة وكبرياء وسعادة للرجل، كما فيه أيضا سخرية من النساء وإزدراء لهن.

4- " اللي حاب يتهرس يبني ولا يعرس" يمنح هذا المثل طابعا سلبيا للزواج، يعكس فيه صورة العلاقة بين الزوجين، فالزواج حسب هذا المثل مجلبة للمشاكل والهموم، ويكشف بالتالي عن اعتراف ضمني بسلبية الزواج، وضرورة التفكير قبل الإقدام على هذا المشروع **"اللي تزوج ندم واللي قعد عزم"**، وهنا نقف على التناقض الذي يحمله خطاب الأمثال الشعبية، فمن جهة يقر بضرورة الزواج- خاصة بالنسبة للمرأة- **" سترة المرا راجلها وإلا قبر يحضنها"**، **"ظل راجل ولا ظل حيط"**... حفاظا على النسل واستمرارا للعلاقات الإنسانية داخل المجتمع، ومن جهة أخرى ينعته بالسلبية ويحذر منه. وفي هذا الصدد يمكن إضافة:**"ماتغرس حتى تزرب، ما تخطب حتى تجرب"** للدلالة على حسن اختيار الزوجة والتدبر قبل الزواج من خلال تجربة الفتاة، فقد تكون سيئة الأخلاق والعشرة، فحسب المخيال الشعبي **"الخير مرا (إمرأة) والشر مرا"** فقد تكون المرأة سببا في سعادة بيتها ومن حولها، وقد تكون سببا في شقائهم، لذلك لا بد من حسن اختيار الزوجة المناسبة، وفي معرض الحديث دائما عن موضوع

الزواج نجد المثل القائل: " **واحدة تجيب الخير معاها والأخرى تخرجو من التاقة (النافذة)**" دلالة على النحس الذي قد تجلبه الزوجة لبيت زوجها.

5- " يعطوني لقصار لعمار، ويقولولي يا منحوسة" يشير هذا المثل للمرأة التي كلما تزوجت توفي زوجها، فقيل عنها أنها امرأة نحس، كما يعرض في معرض الحديث كرد فعل لها بقول هذا المثل للدلالة على أن تصبر به نفسها.

2.5/ في المكر والخداع:

1-	**" بهت النسا بهتين**	**من بهتهم جيت هـارب**
	يتحزموا باللفـاع	**ويتخللوا بالعقـارب"**
2-	**"كيد النسا كيدين**	**ومن كيدهم يا حزوني**
	راكبة على ظهر السبع	**وتقول لحدا ياكلوني"**
3-	**" مزين النسا بضحكات**	**لو كان فيها يدومو**
	الحوت يعوم في الما	**و هوما بلا ما يعومو"**

4- " لا تغرك شمس الشتا، ولا تغرك ضحكة النسا"، " لعزوز إذا بلغت الستين ذنات سبيحة رقيقة اللي يديرو الشيطان في عام اديرو هي في دقيقة"، "إذا حباتك النسا تنحب ولا كرهاتك تنكره"، "مافي الشتا ريح دافي وما في النسا عهد صافي"، " كل بلية سبابها ولية"، "إذا حلفوا فيك الرجال بات راقد، وإذا حلفوا فيك النساء بات قاعد"، "إذا تفاهمت لعجوز والكنة يدخل إبليس للجنة"... تصور هذه الأمثال وغيرها الكثير المرأة على أنها كائن يمتاز بالكثير من: الخداع، المكر، التحايل، النفاق، الخبث، الغدر...،وهي في الحقيقة إنعكاس صريح وواضح لذهنية المجتمع وتصوره للمرأة، فالشر إمرأة، والمكر إمرأة، والخداع إمرأة، ويستند في ذلك بقوله: الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة، فالمجتمع يرى أنه مهما إزداد خبث ومكر الشيطان فالمرأة تفوقه وتتفوق عليه في ذلك. فـ: " **نابليون بونابرت** " يقول: " دموع النساء أسلحة بتارة ولا تكلفهن مع ذلك حربا "(**مجلة التضامن الإسلامي،1993،ص:89**). فنظرة المجتمع للمرأة لا تختلف فهي واحدة تقريبا بالنسبة لجميع المجتمعات، فمهما اختلفت الثقافة وزادت درجة التحضر، فالمرأة تبقى في رأيهم كتلة من المكر والخداع، ويستندون في ذلك بالقرآن الكريم، في قوله عز وجل: " فلما رءا قميصه قد من دبر قال إنّه من كيدكن إن كيدكن عظيم "(**سورة يوسف، الآية:28**)، وعلى هذا الأساس يحذر خطاب الأمثال الشعبية الرجل وبشدة من المرأة التي قد تستخدم أسلحتها لإنتاج سلطة مضادة لسلطة الرجل داخل المجتمع مما يشكل خطرا وتهديدا لمكانته داخل محيطه الاجتماعي.

3.5/ نظرة المجتمع للمرأة:

1- " المرا خشبة والسعد نجارها" إن الأمثال الشعبية كما هو معلوم لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب، بل هي بمثابة قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها الجميع ومن بين هذه المعايير أن المرأة لا إرادة لها، ولا تملك القيام بالفعل بل تقبل بوقوعه عليها دون أن تتدخل في توجيه مساره، والشاهد على ذلك قوله: خشبة، حيث أن مدلول هذه الكلمة يعطي للإنسان فرصة كافية لأن ينحتها أو يشكلها بالشكل الذي يريد بفعل عوامل خارجة عن إرادتها، تعزى عادة إلى القدر أو ما يعرف عند العامة بالمكتوب (السعد والزهر)، فمهما كان هذا السعد مقبولا أو منافيا، يؤمن المجتمع والمرأة بأن لا دخل لإرادتها في تحسين أو تعديل وضعها داخل مجتمعها، وفي هذا الصدد نجد مجموعة من الأمثال ذات الصلة بهذا المثل على غرار: **"السعد سعود ولقصاع عود"، "النسا سعود ما هياش تعرية زنود"، "اللي بزهرها تشرب من راس العين واللي ما عندهاش الزهر تشرب من المخلوض في الطين"**... وكلها تدور في فلك أن لا إرادة للمرأة وأنها تقبل ما يقع عليها من باب أنه قدر محتوم.

2- " شاور مرتك ودير رايك "، "شاورها وخالفها"، " مشورة النسا بخراب سنة"، "الراجل بن الراجل عمره ما يشاور مرا"، "لمرا شاورها وما تاخذش برايها"،هذه أمثال أخرى تصور لنا نظرة المجتمع عامة، والرجل بصفة خاصة إلى المرأة، نظرة إزدرائية، ترى أن المرأة لا تملك الرأي السديد الصائب، فهي ناقصة عقل ودين، فلا ينبغي الأخذ برأيها على الرغم من مشورتها، وما كلمة: **شاوروهم** إلاّ تحسين أو محاولة الرفع من صورة المرأة وهنا تظهر الإزدواجية والتناقض في خطاب الأمثال الشعبية.

3- "سترة لمرا راجلها ولا قبر يحضنها"، "عز البنت مع بوها وإذا غاب عليها عيشها يمرار"، " اسم الراجل ولا طعم التهجال"، "ظل راجل ولا ظل حيط"، " نعيش نهار سردوك ولا عشرة دجاجة"... تشير هذه الطائفة من الأمثال إلى دونية المرأة في المجتمع وحاجتها للرجل وارتباطها الدائم به، فهي إما أمه، أخته، ابنته، أو زوجته، وكما يتردد في الذهنية الشعبية أن المرأة ضلع قصير، خلقت من ضلع قصير وأعوج من أحد أضلاع الرجل، وهي بهذا ضعيفة ولا غنى لها عن الرجل، فهي خاضعة لسيطرته وسطوته وطائعة لأوامره، وتقبل بتبعيتها له، فهو حاميها وعائلها وسندها، فهو أبوها، زوجها، أخوها، ابنها...ولا يصح وجودها إلا بوجود الرجل.

4-" إذا وجعتك ضَرْسْتَك نَحِّيهَا وإِذَا كبْرت بنتك اعْطِيها" يأتي هذا المثل ليعقد مقارنة أو الأصح تشبيه بين: وجع الأسنان وبلوغ الفتاة، حيث شبه الحكيم الشعبي الأسنان(الضرس) بالفتاة عند البلوغ(الكبر)، بمعنى أنه وجه نصيحة لكل إنسان(أب، أخ، ولي أمر...) بأن يتخلص من الوجع الذي يلحقه جراء كبر ابنته، كما يتخلص من الوجع الذي يلحقه به ضرسه، فالفتاة في المجتمع الجزائري-

حسب هذا المثل والمتداول في مناطق عديدة من الجزائر- لا تجلب لنفسها ولعائلتها إلا الألم والوجع أو بالمعنى الشعبي العار، فيجب التخلص منها وتزويجها من أول خاطب يدق بابها، تجنبا للمشاكل، وهنا تتجدد نظرة المجتمع الدونية للمرأة واعتبارها مجلبة للمشاكل. وكم هي كثيرة الأمثال التي تأتي في نفس السياق مع هذا المثل، نذكر منها على سبيل المثال: **"همّ لبنات للممات"** ، **"دلل ابنك يغنيك بنتك تفضحك(أو تخزيك)"** ، **" اللي عندو طفلة عندو محنة، واللي عندو زوز ماخلاش"**، **" المحجوبة تديرها من قفلة الباب والمسيبة تديرها بلا حساب"**، **"إذا ماتت أختك انستر عرضك"**، **"لفعتين في الغار ولا بنتين في الدار"** ...

خلاصة:

إنّ المتأمل لجملة الأمثال السابقة، وغيرها الكثير- مما لا يسعنا المجال لذكرها- من الأمثال التي تتكلم عن المرأة، يلاحظ:

- إزدواجية خطاب الأمثال الشعبية الخاصة بموضوع المرأة، وتناقضها في أحيان كثيرة، وهي نتيجة منطقية للنظرة التي يحملها المجتمع تجاه المرأة، فهي موضوع للرغبة وموضوع للرهبة في الوقت ذاته.
- المجتمع الجزائري مجتمع ذكوري بامتياز، يمثل الرجل داخله المرجعية الأساسية للمرأة، فالرجل هو العائل والحامي لها، فلا غنى للمرأة عن الرجل، تخضع له وترتبط به، سواء كان هذا الرجل أبا، أخا، عما، زوجا...
- تصور الأمثال الشعبية الجزائرية المرأة بصورة سلبية لكونها مصدرا للخطيئة والعار، ومجلبة للمشاكل.
- يضفي خطاب الأمثال الشعبية صفة المكر والخداع على المرأة، وينعتها بالشيطانية والاحتيال.
- ترى الأمثال الشعبية أن المرأة ناقصة عقل وأقل إدراكا من أن تفهم الرجل،كما أنها لا تملك الرأي السديد والمشورة الحسنة.
- هناك أمثال تقدم صورة إيجابية عن المرأة، لكنها تظل مع ذلك محدودة العدد مقارنة مع غالبية الأمثال التي ترسم صورة سلبية عن المرأة، ويمكن القول أن هذه الصورة ليست خاصة بثقافتنا فقط بل تكاد تكون تاريخية.
- تكرس الأمثال الشعبية دونية المرأة وتعكسها بكل أبعادها، ولا تكاد تفارقها عبر مختلف مراحل حياتها، وتخل بأوضاعها وأدوارها الاجتماعية المختلفة (بنت، زوجة، أم ، إمرأة مطلقة، عانس...).
- تكرس الأمثال الشعبية المتعلقة بالمرأة كموضوع، هيمنة الرجل على المرأة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- سورة العنكبوت، الآية:41.

2- سورة الزخرف، الآية: 56

3- سورة يوسف، الآية:28.

4- ابن منظور، أبو الفضل جمال (**د.س**)- **لسان العرب-** بيروت، لبنان، دار صادر.

5- بروقي، وسيلة (2009/2008)- **الأنوثة والذكورة في الموروث الشعبي الجزائري وتصورات سكان منطقة تبسة "دراسة سوسيو-أنثروبولوجية"-** أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم(غير منشورة)، شعبة علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

6- بروقي، وسيلة (**شتاء2008**)- **الزواج الداخلي (الأندوغامي) من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية**، مجلة علوم إنسانية، السنة الخامسة، العدد36، من الموقع:www.ulum.nl.

7- بوتارن، قادة (**د.س**)- **الأمثال الشعبية الجزائرية**- ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

8- العسكري، أبو هلال(**1988**)- **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط2، الجزء2، لبنان، دار الفكر.

9- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (**1999**)- **الحكم والأمثال-** ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الوطن.

10- مجلة التضامن الإسلامي(**جانفي 1993**)، الجزء الأول،وزارة الحج والأوقاف، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

11- مرتاض، عبد المالك (**1981**)- **العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى-** الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

12- مرزوقي، **محمد** (**1967**)- **الأدب الشعبي**- ، دون بلد نشر، دون دار نشر.

13- http//www.ar.wikipedia.org, le : 02/04/2009,19:01.